علمُ البديعِ وفنُّ البديعيّاتِ: دراسةٌ تاريخيّةٌ مقارنةٌ

The Science of Rhetoric and the Art of Rhetorical Devices: A Comparative Historical Study

جعفر عطا الله العويدات [1] فايز مد الله الذنيبات [2]
JafarAtallah Muhammad Al-Owidat [1] Fayez Mad Allah Al-Dhanibat [2]

DOI: 10.15849/ZJJHSS.251130.06

الملخص

جاءتْ هذهِ الدّراسةُ للكشفِ عنْ ملامحِ التّطوّرِ في علمِ البديعِ وفنِّ البديعيّاتِ، وبيانِ علاقتِهما بالشّعرِ التّعليميّ والصّوفيّ، مع إبرازِ الفروقِ الجوهريّةِ بينَهُما. وقدِ اعتمدتِ المنهجَ التّاريخيَّ المقارنَ، مستندةً إلى استقراءِ النّصوصِ وتحليلِها في ضوءِ السّياقِ التّاريخيّ والفنّيّ. وقدْ أسفرَ البحثُ عنْ نتائجَ عدّةً، لعلَّ منْ أبرزِها: الحاجةُ إلى إحصاءٍ علميٍّ موثَّقٍ للبديعيّاتِ بعدَ أنْ أظهرَ إحصاءٌ أوّليٌّ تجاوزَ عددُها ما وردَ في الدّراساتِ السّابقةِ، والكشفِ عنْ أسبابٍ جديدةٍ لنشأتِها، منْها دافعُ التّفوّقِ الشّعريّ لدى صفيّ الدّين الحلّيّ، والهدفُ التّعليميُّ لدى عائشة الباعونيّة. كما أوضحتِ الدّراسةُ الفارقَ بينَ الشّعرِ التّعليميّ المحضِ، الّذي يفتقرُ إلى الأثرِ العاطفيّ، والبديعيّاتِ الّتي جمعتْ بينَ الإفادةِ الجماليّةِ والتّعليمِ الفنّيّ والعاطفةِ الدّينيّةِ، مؤكّدةً أنَّ علاقتَها بالشّعرِ الصّوفيّ علاقةُ تقاطعٍ لا تطابقٍ.

الكلمات المفتاحيّة: البديع، البديعيّات، الشّعر الصّوفيّ، الشّعر التّعليميّ، المنهج التّاريخيّ المقارن.

Abstract

This study aims to identify the developmental features of ʿIlm al-Badīʿ (the science of rhetorical embellishments) and Fan al-Badīʿiyyāt (the art of rhetorical devices), and to clarify their relationship with didactic and Sufi poetry، while highlighting their fundamental differences. The research adopts a historical-comparative methodology، relying on textual analysis within their historical and artistic contexts. The findings reveal the necessity of a rigorously documented scientific inventory of rhetorical devices، as an initial survey indicated a higher number than previously recorded. The study also uncovers new motivations for the emergence of this art form، including the poetic ambition of Ṣafī al-Dīn al-Ḥillī and the educational purpose articulated by ʿĀʾisha al-Bāʿūniyya. Moreover، the research distinguishes between purely didactic poetry، characterized by a lack of emotional impact، and rhetorical devices poetry، which combines aesthetic value، technical instruction، and religious sentiment، affirming that its relationship with Sufi poetry is one of intersection rather than complete overlap.

Keywords: Badiʿ، Badiʿiyyāt، Sufi Poetry، Didactic Poetry،Comparative Historical Study

[1] كلية الدراســات العليا، جامعة العلوم الإســلاميّة العالميّة، اللغة العربية وآدابها، معلم في وزارة التربية والتعليم
[2] جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة، اللغة العربية وآدابها، أستاذ الأدب القديم ونقده
*للمراسلة: gafar.zero19@Gmail.Com

تاريخ استلام البحث: 2025/07/02
تاريخ قبول البحث: 2025/08/14

[1] Teacher, Ministry of Education, PhD student, Literary and Critical Studies, Department of Arabic Language and Literature, World Islamic Sciences and Education University, Jordan
[2] Professor, Ancient Literature and Its Criticism, World Islamic Sciences and Education University, Department of Arabic Language, Jordan
*Corresponding author: gafar.zero19@Gmail.Com

Received: 02/07/2025
Accepted: 14/08/2025

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

المقدمة

يُعدّ البديع أحد أركان البلاغة العربية الثلاثة، وقد مثّل تطورًا في وعي العرب بجماليات التعبير، إذ انصبّ اهتمامه على تحسين الكلام لفظًا ومعنًى، مما أكسب النصوص الأدبية بعدًا فنيًّا راقيًا، وقد نشأ البديع في العصر العباسي، وتبلورت معالمه الأولى على يد ابن المعتز (ت296هـ) وقدامة بن جعفر (ت326هـ) وغيرهما، ثم تطوّر لاحقًا ليأخذ طابعًا تعليميًا وتطبيقيًا متداخل الأغراض.

ومن هذا الوعي الجمالي وُلد فن البديعيات، فجسّد علم البديع ممارسةً إبداعيةً عبر قصائد تُنظَم في مدح النبي ﷺ، مع التزام إيراد أكبر عدد ممكن من المحسنات البديعية، وهكذا نشأت البديعيات ظاهرةً أدبية وتربوية استوجبت التأمل والتحليل من حيث النشأة والتطور والأسباب، والفروق التي تميّزها عن علم البديع، وعن الشعر الذي يتقاطع معها من مثل: الشعر التعليميّ، والشعر الصوفيّ.

تنبع **أهمية** هذه الدراسة من كونها تؤصل للعلاقة بين علم البديع وفن البديعيات في إطار تاريخي مقارن، وهي مقاربة نادرة في الدراسات السابقة، كما تهدف إلى تتبع نشأة كلٍّ من العلم والفن، ورصد التداخلات والفروق الجوهرية بينهما، إلى جانب بحث صلتهما بالشعر التعليمي والشعر الصوفي، وتحديد موقع فن البديعيات ضمن خارطة الأدب والبلاغة.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي المقارن، لتتبع تطور هذين الحقلين عبر العصور، وتحليل الآراء النقدية المتعلقة بهما، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما من حيث المفهوم والغاية والمنهج والوظيفة.

سعت الدراسة إلى الإجابة عن **الأسئلة** الآتية:

1. ما السياق التاريخي لنشأة علم البديع وفن البديعيات، ومراحل تطورهما؟
2. ما دوافع ظهور فن البديعيات، وما الجديد الذي تضيفه هذه الدراسة؟
3. ما الفروق بين الشعر التعليمي والشعر الصوفي وفن البديعيات؟
4. ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين علم البديع وفن البديعيات؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة فقد انبنى معمار هذه الدراسة على ثلاثة مباحث، يسبقها مقدّمة، وتلحقها خاتمة.

جاء **المبحث الأول** ليعالج تطوّر مفهوم البديع في النقد العربيّ القديم حتى استوى علمًا قائمًا بذاته، مراعيًا الترتيب الزمني للعصور، إضافة إلى مفهوم البديع لغة واصطلاحًا.

واسترسل **المبحث الثاني** في التأصيل لظاهرة البديعيّات، والتعريف بها لغة واصطلاحًا، مع بيان شروطها وعددها وروّادها.

وغاص **المبحث الثالث** في أسباب نشأة فنّ البديعيّات، ووقف عند أوجه التشابه والاختلاف بينهما، علاوة على استخلاص الفرق بين الشعر التعليميّ وفن البديعيّات، وبين الشعر الصوفيّ وفنّ البديعيّات.

أمّا بالنسبة **للدراسات السابقة** في هذا الميدان في كثيرة، لكن من منظور مغاير لِما في هذه الدراسة، لعلّ من أهمّها:

- موسى، إبراهيم أحمد، الصبع البديعي، د. ط، دار الكاتب العربيّ للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م.

لعلّ هذه الدراسة –في حدود معرفة الباحث– أوّل دراسة جمعتْ بين البديع والبديعيّات، وقد تحدّث الباحث في هذه الدراسة عن نشأة علم البديع والتطور الذي طرأ عليها، ووقف عند البديعيّات وأسباب ظهورها ونشأتها،

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وعددها وشروطها، مقرنًا الجانب النظري بالتطبيقي، غير أنّه لم يتناول موضوعه وفق المنهج التاريخي المقارن، إذ اكتفى بالتأصيل لكلٍّ منهما على حِدة، فلم يتناول الفروق الجوهرية بينهما، وقد أغفل أسبابًا أخرى لنشأة فن البديعيّات، ولم يتناول التقاطعات بين فن البديعيات والشعر التعليمي والصوفيّ، وهو ما أضافته دراستي هذه.

- أبو زيد، علي، البديعيات في الأدب العربي، ط1، عالم الكتاب، بيروت، 1983م.

سلك الباحث أبو زيد في كتابه هذا مسلك إبراهيم موسى، ولم يضف شيئًا جديدًا، سوى العدد الذي أضافه لعدد البديعيّات، إذ إنّه أضاف خمسين بديعيّة جديدة، بعد أن كانت إحدى وأربعين بديعيّة عند إبراهيم موسى، ليصل عددها إلى إحدى وتسعين بديعيّة مؤكّدة، إضافة إلى استنتاجه أسبابَ ظهور هذا الفنّ، غير أنّ الباحث وافقه على بعضها، ورَفَضَ بعضها الآخر، وقد أضافتِ الدراسة أسبابًا أخرى غفل عنها كلا الباحثين السابقين، مُبديةً الفروق الجوهرية بين علم البديع وفنّ البديعيّات.

وفيما يخصّ الدراسات المنشورة في المجلّات فلم يظفر الباحث بدارسة واحدة جمعت بينهما في دراسة واحدة، فإمّا أن يتناولوا علم البديع، أو فنّ البديعيّات كلّ على حِدة، ولم يُدرسا في إطار المنهج التاريخي المقارن.

وبعد، فقد أنفقنا على هذه الدراسة أيامًا موصولة في سبيل إخراجها في أبهى صورة، نرجو أن نكون قد وُفّقنا في ذلك، محتسبَين الأجر والتوفيق من الله، والحمد لله الذي يسَّر وأعان وسدَّد.

المبحث الأوّل

تطوّر مفهوم البديع في النقد العربيّ القديم

شغل علم البديع حيّزًا مهمًّا في الدرس البلاغيّ والنقدي عبر العصور؛ لِما يحمله من عناصر جماليّة ثَرّة يُضفي على النصوصِ جمالًا وعمقًا فنيًا لافتًا، غير أنّ مفهوم البديع لم يبقَ ثابتًا، بل شهد تطوّرات وتحوّلات متلاحقة عبر التاريخ، انطلقت من إشارات بسيطة لدى المُتقدّمين أمثال الجاحظ، وصولًا إلى مفاهيمَ أكثر شمولًا لدى المتأخرين أمثال القزوينيّ، فقد كان علم البديع كَكُرة الثلج كلّما دارت به السنون ازداد ضخامةً.

سيقف هذا المبحث عند حدود مفهوم البديع من حيث: تعريفه لغة واصطلاحًا، وتطور المفهوم وفقًا لجهود النقّاد القدامى من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجريين.

أولًا: البديع لغة واصطلاحًا

جاء معنى البديع **لغة** في **معجم الصحاح** "أبدعتُ الشيء: اخترعتُه لا عَلى مثالٍ، والله تعالى بَديعُ السموات والأرض. والبَديعُ: المبتدِعُ... وأبدعَ الشاعرُ: جاءَ بالبديع"[1].

وفي **معجم لسان العرب** "بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه: أَنشأَه وبدأَه. وبدَع الرَّكِيّة: اسْتَنْبَطَها وأَحدَثها. ورَكِيٌّ بَدِيعٌ: حَدِيثةُ الحَفْر. والبَدِيعُ والبِدْعُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوّلًا. وَفِي التَّنْزِيلِ: قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ أَي مَا كُنْتُ أَوّلَ مَنْ أُرْسِلَ، قَدْ أُرسل قَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرٌ. والبِدْعةُ: الحَدَث وَمَا ابْتُدِعَ مِنَ الدِّينِ بَعْدَ الإكمال... والبَديع: مِنْ

[1] الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، (ت393هـ/1002م)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، 6 أجزاء، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج3، ص1183.

أَسماء اللَّهِ تَعَالَى لإِبْداعِه الأشياء وإِحْداثِه إِيَّاها وَهُوَ الْبَدِيعُ الأَوّل قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ بِمَعْنَى مُبدِع أَو يَكُونَ مِنْ بَدَع الخلْقَ أَي بَدَأَه، وَاللَّهُ تَعَالَى كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) [117: البقرة]؛ أَي خَالِقُهَا ومُبْدِعُها فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْخَالِقُ المُخْتَرِعُ لَا عَنْ مِثَالٍ سَابِقٍ"[1].

وجاء معنى البديع في **المعجم الوسيط** "البديع الْمُبْدِع وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) [117: البقرة] والمُبدِع بَدَائِع وَيُقَال هَذَا من الْبَدَائِع مِمَّا بلغ الْغَايَة فِي بَابه وَعلم يعرف بِهِ وُجُوه تَحْسِين الْكَلَام"[2].

وبناءً على التعريفات المعجميّة السابقة لكلمة البديع في المعاجم المختلفة القديمة منها والحديثة، يُمكننا أنْ نستنتج ما يلي:

- البديع يعنى الإبداع والابتكار؛ أي إنشاء الشيء من غير مثال سابق.
- يرتبط معنى البديع بالإحداث والابتداء؛ أي الشيء الأوَّل أو الجديد الذي لم يسبق إليه أحد.
- البديع اسم من أسماء الله الحُسنى؛ للدلالة على خلقه الأشياء ابتداءً من غير سابقة.
- أمّا في السياق الأدبيّ، يدلّ البديع على الإبداع في الكلام؛ كقولهم: أبدعَ الشاعر؛ أي جاء بما يُعدّ بديعًا في فنِّه.
- البديع في البلاغة عِلْم يُعنى بتحسين الكلام، وهو ما يرتبط بِعِلْم البديع في البلاغة، وهذا الاستنتاج غايةً في الأهميّة لفهم البديع اصطلاحًا، ويُلاحظ المُطّلعُ على تطور لفظة البديع في المعاجم أنّ المعنى اللغويّ الذي يرتبط بالبلاغة جاء في المعاجم **المُتقدّمة**.

أمّا البديع **اصطلاحًا** فلم يأخذِ المصطلح تعريفًا محددًا إلّا عندما جاء **الخطيب القزويني (ت729هـ) في كتابه "التلخيص في علوم البلاغة"**، فقال عن البديع: "عِلْم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهي ضربان: لفظي ومعنوي"[3]، وقد عرّفه **ابن خلدون (ت808هـ)** بـ: "النّظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التّنميق إمّا بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام"[4]. ولا يَفهم القارئ من التعريفين السابقين أنَّ هذا العِلْم غيرُ ضروريّ بما أنَّه "تزيين الكلام وتحسينه"، بل لهو غاية في الأهميّة إذا خلا من التَّكلُّف، وجاء على لسان المتكلّم من عفو الخاطر، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكريّ في الصناعتين: "هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف، وبرئَ من العيوب، كان في غاية الحسن، ونهاية الجودة"[5].

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت711هـ/1311م)، **لسان العرب**، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، 15 جزءًا، ط3، دار صادر، بيروت، 1993م، ج8، ص6.

(2) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط2، دار الدعوة في إسطنبول ودار الفكر في بيروت، 1972م، ص43-44.

(3) القزويني، جلال الدين الخطيب، (ت738هـ/1338م)، **التلخيص في علوم البلاغة**، تحقيق: عبد الرحمن برقوقي، جزء واحد، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص347.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ/1405م)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، 8 أجزاء، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981م، ج1، ص761.

(5) العسكري، الحسن بن عبد الله أبو هلال، (ت395هـ/1004م)، **الصناعتين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، جزء واحد، د. ط، دار العنصرية، بيروت، 1998م، ج1، ص267.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ثانيًا: ولادة البديع وتوسع الدلالة

إنّ التمعن في تطور علم البديع يُفضي إلى حقيقة مفادها أنه لم يكن وليدَ لحظة أو نتاج انفجار فكري فجائي، بل هو امتداد طبيعي لتلك التجليات الجمالية التي لطالما اتسم بها التعبير العربيّ منذ العصر الجاهلي، فقد استخدمَ الشعراء الأوائل أشكالا من المحسنات البديعية بأسلوب فطري، بعيدًا عن التدوين أو التأصيل في علم قائم بذاته، ثم جاءت النصوص الإسلامية، من قرآن كريم وحديث شريف، حاملةً بين ثناياها بلاغاتٍ راقيةً وأنماطًا جمالية كانت بمثابة الينبوع الذي نهل منه من جاء بعدهم، فراحوا يدرسونها ويصنفونها.

لذلك، لا يمكن اعتبار البديع اختراعًا مُبتكرًا كما قد يُفهم من بعض الكتابات الحديثة، بل هو بمثابة تسمية لاحقة لجماليات كانت موجودة منذ أزمان، "فقد عرفَ العرب في شعرهم كل الخصائص الفنية والأساليب البيانيّة التي تخلع عليه صفة الجمال والإبداع، وكان الشاعر منهم بحسِّه الفطريّ وعلى غير دراية منه بأنواع هذه الأساليب البيانيّة ومصطلحاتها البلاغيّة يستخدمها تلقائيًا كلما جاشَ بنَفْسِهِ خاطر وأراد أن يُعبِّر عنه تعبيرًا بليغًا"[1]، ويؤكّد أبو هلال العسكري في الصناعتين هذا الأمر بعد أنْ عَدَّدَ أنواع البديع، فيقول: "هذه أنواع البديع التي ادّعى مَن لا رواية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها وأن القدماء لم يعرفوها؛ وذلك لما أراد أن يُفَخِّم أمرَ المحدثين"[2].

إذن، يبقى التساؤل المطروح هنا ما الجديد في البديع إذا كانت العرب قد استعملته منذ القدم؟ نقول: الجديد في الأمر يَكْمنُ في محاولة التصنيف والتوضيح، وفي استحداث المصطلحات، لا في أصل الظواهر نفسها، بل إنَّ أصل الظاهرة معروفٌ لدى العرب منذ **جاهليتهم** بدليل وجودها في أشعارهم، والحوارات التي كانت تُقام في أسواقهم لتفضيل شعرٍ على آخر وأسلوبِ شاعرٍ على غيره، وتلك القُبَّة الحمراء التي كانوا ينصبونَها للنابغة الذبيانيّ للاحتكام إليه في أشعارهم. ويُستنتج من هذه الدلائل كلِّها أنّ العربَ كانوا يزيّنون كلامهم بِحَسَنِ الألفاظ والمعاني، وقد جاءت أنواع البديع –التي عُرفت لاحقًا– على لسانهم من عفو الخاطر دون معرفتهم بالمصطلحات التي جاءت عندما صار البديع علمًا مستقلًا.

وإذا ما انتقلنا إلى **العصر الأمويّ وبدايات العصر العباسيّ** نجد أنَّ العرب عرفوا الألوان البديعيّة المختلفة كما عرفها أجدادُهم الجاهليون من قبلُ، وقد كان أقدم ظهور لِلَفظة "البديع" في المصادر القديمة عند **الجاحظ (ت255هـ) في كتابه البيان والتبيين**، وقد ظهرت في قوله –بعد أنْ علّق على أبيات للأشهب بن رميلة–: "والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان. والراعي كثير البديع في شعره، وبشّار حَسَن البديع، والعتّابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار"[3]، ومن ثم يذكر الجاحظ طائفةً من الشواهد التي يوجد فيها ألوانٌ بديعيةٌ دون أن يَذكرَ اللون البديعيّ الموجود في الشاهد الذي يورده؛ وذلك أنّه يفتقر إلى المصطلحات البلاغيّة لهذه الفنون البديعيّة، فمثلًا يورد بيتينِ شعريينِ لمعاوية بن أبي سفيان وَرَدَ فيهما طباق، وجناس ناقص، فقد أدرجهما تحت باب البديع دون أنْ يُعلِّق عليهما، وهما[4]:

---

(1) عتيق، عبد العزيز، **علم البديع في البلاغة العربية**، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت، ص8.

(2) العسكري، **الصناعتين**، ص267.

(3) الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان، (ت255هـ/ 868م)، **البيان والتبيين**، تحقيق: د. م، 3 أجزاء، د. ط، دار الهلال، بيروت، 2002م، ج3، ص281.

(4) **المصدر نفسه**، ج3، ص284.

أَرَى الليالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي أَخَذْنَ بَعْضِي وَتَرَكْنَ بَعْضِي
حَنَيْنَ طُولِي وَتَرَكْنَ عَرْضِي أَقْعَدْنَنِي مِنْ بَعْدِ طُولِ النَّهْضِ

نلاحظ أنَّ البيتينِ السابقينِ وَرَدَ فيهما لونان بديعيان: الأوَّل الجناس الناقص المُتمثِّل بين كلمتي (نَقْضِي/ بَعْضِي)، والثاني الطابق المتمثِّل بين كلمتي (أَخَذْنَ/ تَرَكْنَ) وبين كلمتي (أَقْعَدْنَنِي/ النَّهض) وهو تضاد حصل بين فعل واسم، لكنَّ الجاحظ اكتفى بذكرهما دون أن يُعلِّق عليهما؛ بسبب افتقاره للمصطلحات البلاغيّة لمثل هذه الزينة اللفظية وعليه، يُمكن القول إنَّ العرب في هذه المدّة وتحديدًا في أوائل القرن الثالث الهجري، كانوا يُميّزون البديع بذوقهم وسَمْعهم، مع معرفة المصطلح العام الذي تنضوي تحته كلّ الألوان البديعيّة المختلفة.

وبعدما ذُكِرَ مصطلح البديع عند الجاحظ في أوائل القرن الثالث تأتي محاولة جادَّةً لم يهتدِ إليها أحدٌ قبل **ابن المعتز (ت296هـ)** في كتابه "البديع"، إذ إنّه أَلَّف الكتاب بقصد إثبات أنَّ هذا العلم لم يسبق إليه المحدثون في شعرهم ونثرهم بل كان قديمًا من الجاهلية وموجودًا في قول الله سبحانه وتعالى، وفي حديث نبيِّه صلى الله عليه وسلم، إذ إنّه قال: "قَدَّمْنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارًا ومسلمًا وأبا نواس من تقيَّلَهُم وسَلَكَ سبيلَهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنَّه كَثُرَ في أشعارهم فعُرِف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأَعْرَبَ عنه ودلّ عليه"[(1)].

وقد قَسَّم ابن المعتز البديع –حسب رأيه– إلى خمسة أقسام هي: الاستعارة، والجناس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلاميّ[(2)].

ويطالعُنا بعد محاولة ابن المعتز، محاولات نقّاد أفذاذ من القرن الثالث وحتى القرن الثامن حيثُ استوى هذا العلم في هذا القرن، فنرى في محاولاتهم تَقْعيدًا وضبطًا لمصطلحات ألوان البديع، إذ نلاحظ أنّ منهم مَن يزيد في مصطلحات هذا العِلْم، ومن ثمّ يرصدها في القرآن والسُّنَّة وكلام العرب، ومنهم مَن يعارض النقاد الذين قبله فيحذف بعض المصطلحات ويجيء بغيرها مستأنسًا بالشواهد المختلفة، ونلحظ آخرين يزيدون ألوانًا بديعيّة على ما جاء به المتقدّمون من النُّقاد.

وسيتناول الباحثانِ النقّاد وفقًا للتسلسل التاريخي لظهور كتبهم، وسيقفان عند أبرزهم ممّن كان لهم أثرٌ واضح في البديع، إذ جاءت بعد محاولة ابن المعتز محاولة قدامة بن جعفر **(ت326هـ)** في كتابه "نقد الشعر"، ويطالعنا في **القرن الرابع** أبو هلال العسكريّ **(ت395هـ)** في كتابه "الصناعتين"، وفي **القرن الخامس** يظهر لنا ابن رشيق **(ت456هـ)** في كتابه "العُمدة"، وفي القرن نفسِهِ تظهر دراسة ابن سنان الخفاجي **(ت466هـ)** في كتابه "سرّ الفصاحة"، ومن ثمّ دراسة عبد القاهر الجرجانيّ **(ت471هـ)** في كتابه "دلائل الإعجاز"، وفي **القرن السادس** يظهر الزّمخشري **(ت538هـ)** في كتابه "الكَشَّاف"، وتظهر دراسة أسامة بن منقذ **(ت584هـ)** في كتابه "البديع في نقد

---

(1) ابن المعتز، عبد الله بن محمد أبو العباس، (ت296هـ/908م)، **البديع**، تحقيق: د. م، جزء واحد، ط1، دار الجبل، السويداء، 1990م، ص73.

(2) انظر: **المصدر نفسه**، ص76–152.

الشعر" وهو من معاصري الزّمخشري، ونقف عند **القرن السابع** الهجري عند دراسة السّكاكيّ في كتابه "مفتاح العلوم" الذي يُعدُّ علامةً فارقةً في تاريخ البديع[1].

وتظهر بعد دراسة السّكاكيّ في القرن نفسه، دراسة ابن أبي الإصبع **(ت654هـ)** في كتابه "تحرير التحبير"، وفي **القرن الثامن** أخذ البديع صفةً رسميةً بوصفه علمًا قائمًا بذاته على يد الخطيب القزويني **(ت729هـ)** في كتابه "التخليص في علوم البلاغة".

بعد ظهور المصطلح لأوّل مرّة عند الجاحظ في **القرن الثالث** دون أي توضيح له، بدأ المصطلح يأخذ صبغةً علميّة في **القرن الثامن** الهجريّ على يد الخطيب القزوينيّ، فأصبح البديع علمًا مستقلًا بذاته، إذ إنّه قسّم البلاغة إلى ثلاثة أقسام هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وقد عرّفه القزويني بالعِلْم، وظهر ذلك بقوله: ""عِلْم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهي ضربان: لفظي ومعنوي"[2]، وقد وصلت أقسام علم البديع عنده إلى سبعة وثلاثينَ نوعًا، منها: المشاكلة، والمزاوجة، والعكس، والرجوع، والتورية، والتفريق، والتقسيم، والتجريد، والسجع، والجناس، وغيرها من الألوان[3].

المبحث الثاني

فنّ البديعيات في الأدب العربيّ القديم

حظيتِ البديعيات بعنايةٍ فائقةٍ من لدن الشعراء، امتدت على مدى يزيد على سبعة قرون، اتخذوا فيها من مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم موضوعًا سامقًا لقصائدهم، ومن فنون البديع معينًا لا ينضب، وزادًا معرفيًّا وجماليًّا في رحلتهم المديدة مع نَظْم هذا الضرب الشعريّ المخصوص، الذي امتاز بطوله، ودقّة بنائه.

وقد جاءت هذه القصائد بمنزلةِ تمارينَ بلاغيّةٍ رفيعة، يُظهر فيها الشاعر مقدرتَهُ الفنيةَ على تطويع المحسنات البديعية وتوظيفها دون أن تُضعف المعنى أو تُخلُّ بجزالةِ النَّسج، بل لعلّها ترتقي بالنصّ ليغدو أُنموذجًا في فنية الأداء، وسلامة الذوق، وجزالة العبارة.

ولم تكنِ البديعيات ضربًا من التَّرف الفنيّ فحسب، بل كانت أيضًا شهادةً على عُمْقِ التَّعلّق بالتراث النبويّ، ومحاولةً واعيةً لتجديد الصلة بين الشِّعر والبلاغة، حيث يلتقي الوجدان الديني مع الصِّنْعة البلاغيّة في نصّ واحد، يتوخّى فيه الشاعر الجمع بين الإبداع والتوقير، وبين الفنّ والمحبّة.

أولًا: البديعات لغة واصطلاحًا

بعد طول نظر، وتقصٍّ علميّ، امتدّ في بطون المعاجم العربية، قديمها وحديثها، تبيّن –على اتساع ما نُقل ورُوي– أنّ لفظة البديعيات لم ترد على نَحْو صريح في أيٍّ من المعاجم اللغوية التقليدية، فلم يجد الباحثان لها ذِكرًا في مدونات اللغة الكبرى التي كُتِبَتْ مزامنةً مع ظهور هذا الفنّ أو بعدها، كلسان العرب لابن منظور **(ت711هـ)**،

---

(1) للاستزادة بشكل مفصّل انظر في المصادر المذكورة أو: عتيق، عبد العزيز، **علم البديع في البلاغة العربية**. والآلوسي، حذام جمال الدين، **تطوّر البديع**، مجلة الآداب، بغداد، ع19، 1976م.

(2) القزويني، **التلخيص في علوم البلاغة**، ص347.

(3) انظر: **المصدر نفسه**، ص347–407.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

والقاموس المحيط للفيروزآبادي **(ت817هـ)**، وتاج العروس للمُرتضى الزّبيديّ **(ت1205هـ)** وغيرها، سوى ما وَرَدَ من حديثٍ عن الجذر (ب د ع) بمشتقاته المعنوية الدالة على الإبداع والابتكار، وما تمّ الإشارة إليه في مبحث البديع سابقًا.

أمّا **البديعيات** بصيغتها الاصطلاحية الدالة على فنّ شعري مخصوص، فقد غابت عن تلك المصنفات، ولم أظفر لها بوجود موثّق إلّا في بعض المعاجم الإلكترونية المعاصرة، وهي إشارات متأخرة نسبيا، تُعبّر عن تداول حديث لهذا المصطلح في الدوائر النقدية والبلاغية.

والبديعيات **اصطلاحًا** ذُكِرت في مَضانٍّ كثيرة، ولعلَّ من أوَّل الإشارات في الكتب الأدبيّة القديمة وَجَدَها الباحثان عن قصائد البديعيات هو قول لعائشة الباعونيّة **(ت923هـ)** في تقديمها لكتابها (الفتح المُبين في مدح الأمين)، إذ يُمكننا أن نستنبطَ تعريفًا أوَّليًّا من قولها: "فهذه قصيدةٌ صادرة عن ذات قِناع، شاهدةٌ بسلامة الطِّباع، مُنَقَّحةٌ بحُسْنِ البيان، مَبْنِيَّةٌ على أساس تقوى منَ الله ورضوان، سافرةٌ عن وجوه البديع، ساميةٌ بمدح الحبيب الشفيع، مُطْلَقَةٌ من قيود تسمية الأنواع، مُشْرِقَةُ الطَّوالعِ في أُفقِ الإبداع، مَوسومةٌ بينَ القصائد النَّبويَّات بمُقتَضى الإلهامِ الذي هو عُمْدَةُ أَهلِ الإشارات"[1].

فالتعريف الأوّلي للبديعيات الذي يُمكننا استنتاجه وفقًا لقول عائشة الباعونية السابق هو أنَّ البديعيات: فنّ شعري ظهر في إطار المديح النبوي، يُعنى بتوظيف صنوف البديع توظيفًا مقصودًا، إذْ تُنظَم القصيدة على أساس تقني وجمالي يُبرِز سلامة الطبع وحُسْن البيان.

ويظهر لنا أوّل تعريف منهجي في العصر الحديث للبديعيات تعَريف علي أبو زيد إذ عرفها بقوله: "هي مجموعة من القصائد، ظهرتْ في القرن الثامن الهجريّ واستمرّت حتى القرن الرابع عشر، غرضها المديح النبويّ، وغايتها جمع أنواع البديع ضمن أبياتها، نوعٌ في كلّ بيت يَصُبُّ ذلك كلّه في قالب من البحر البسيط، وروي الميم المكسورة، هذا القالب الذي اشتُهِرَ من خلال (بُرأة) البوصيري"[2].

ثانيًا: أصل ظاهرة البديعيّات

لعلَّ أوَّل استخدام لمصطلح البديعيّة (وهو مفرد البديعيّات) ذُكِر لأوَّل مرّة عند صفيّ الدين الحليّ **(ت750هـ)** في قصيدته التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وأطلق عليها اسم (البديعيّة)، وألّف كتابًا في شرحها أسماه "شرح الكَافِيَة البديعيّة"[3].

أمّا عن أوَّل مَن كتب في هذا الفنّ فقد اختلفت أنظار الدارسين في تحديد الباكورة التي تمخّض عنها فن البديعيات، تلك القصائد التي نُظمت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وتوسلت بالمحسنات البديعية زينةً

---

(1) الباعونية، عائشة يوسف، (ت923هـ/1516م)، **الفتح المبين في مدح الأمين**، تحقيق: عادل العزاويّ وعباس ثابت، جزء واحد، ط1، دار كنان، دمشق، 2009م، ص25–26.

(2) أبو زيد، علي، **البديعيات في الأدب العربي**، ط1، عالم الكتاب، بيروت، 1983م، ص6.

(3) انظر: الحليّ، صفي الدين، (ت750هـ/1349م)، **شرح الكَافِيَة البديعيّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، تحقيق: نسيب نشاوي، جزء واحد، ط2، دار صادر، بيروت، 1992م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

ومعمارًا، حتى غدت مدرسة قائمة بذاتها، وقد استعرض علي أبو زيد في كتابه (البديعيات في الأدب العربيّ) أقوال العلماء ومواقفهم، ثم عرض رأيه بميزان ناقدٍ بصير[1].

إنّ الرأي السائد للبديعية الأولى تذهب لصفي الدين الحلي **(ت750هـ)**، إذ ذهب طائفةٌ من الباحثين إلى أن صفيّ الدين الحلي هو واضع البديعية الأولى[2]، إذ نظم قصيدته الشهيرة التي بلغت 145 بيتًا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وضمَّن كل بيت منها نوعًا من المحسنات البديعية، وقد صرّح في مقدمتها بهذا الأمر.

ويرى نفر من النقَّاد[3] أنّ أوَّل من جاء ببديعيّة هو السليماني الإربلي **(ت670هـ)**، ومنهم من قال البوصيري **(ت696هـ)** وغيرها من الآراء[4].

ويُستنتَج من هذا كلِّه، أنّ فنّ البديعات في نشأته الأولى لم يكن وليد لحظة عارضة، بل هو نتاجُ تطوّرٍ تراكميّ تفاعلت فيه الأذواق البلاغية مع الرؤى المعرفية، وتضافرت فيه الجهود بين التنظير والتطبيق، وإذا كان صفيّ الدين الحلي قد مثّل مرحلة نضج هذا الفن، فإنّ الجزم بكونه المؤسّس الأوّل يبقى محلّ نظر، إذ تبرز أسماءٌ سبقت عصره، كالسليماني الإربلي **(ت670هـ)** والبوصيريّ وغيره، ممّن أسهموا في بلورة ملامح هذا الفن وإرساء دعائمه الأولى. ولعلّ هذا التعدّد في الآراء لا يُضعف البحث، بل يُغنيه، إذ يشير إلى أنّ البديعات نشأت في بيئة معرفية خصبة، تشكّل فيها الذوق البلاغي العربي والأدبيّ بتراكمٍ حضاريّ ممتدّ، لا يُنسب إلى فردٍ بعينه بقدر ما يُنسب إلى روحٍ ثقافيةٍ جامعة، **ويذهب الباحث** إلى أنَّ أوّل بديعيّة هي بديعيّة صفيّ الدين الحلّي؛ لأنّه أوّل مَن جاء بالشكلّ الفنيّ للبديعيّة المتعارف لدينا الآن، وقد سار على خطاه عشرات الشعراء في المنهج الذي رسمه لكتابة البديعيّات، ومما لا شكّ فيه أنّه استفاد ممّن سبقه، لكن كقالب فنّي لكتابة البديعيّات هو صاحب السبق فيه، فضلًا عن إطلاق مصطلح البديعيّة على هذه القصائد.

ثالثًا: شروط البديعيّات وعددها

وضع كثير من النقاد ضوابطَ وشروطًا للقصائد التي يُمكن أنْ نَعُدَّها من البديعيّات، على الرغم من وجود من يعارض هذه الشروط بسبب وجود قصائد تخرج عن الشروط العامّة المعروفة، فمثلًا بعض القصائد لم تُكتَب في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم، بل كُتِبَت من المسيحيين في مدح عيسى عليه السلام، فمثلًا يقول إبراهيم موسى: "ولعلّ من الغريب ما نُنَبِّه عليه أن بديعية من هذه البديعيات كانت في البديع الهنديّ لا العربي، ومن هنا يستبين لك مَبلغ التساهل وعدم التحقيق الذي تراه في كتب المؤلفين إذ يقولون: البديعيات قصائد من بحر البسيط في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، أو يقولون: وكل هذه البديعيات من بحر البسيط وعلى روى الميم وكلها في مدح النبي ومدح أصحابه، فالبديعيات كما رأيتَ لم تخضع لغرض واحد ووزن واحد وروي واحد"[5].

---

(1) انظر: أبو زيد، علي، **البديعيات في الأدب العربي**، ص58–69.

(2) انظر: **المرجع نفسه**، ص69. ومبارك، زكي، **المدائح النبويّة**، د. ط، دار المحجة البيضاء، بيروت، د.ت، ص171–187. والآلوسي، حذام جمال الدين، **تطوّر البديع**، ص53–54.

(3) انظر: الربداوي، محمود، **ابن حجّة الحموي شاعرًا وناقدًا**، د. ط، دار قتيبة، دمشق، 1982م، ص191. وضيف، شوقي، **البلاغة تطور وتاريخ**، ط9، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص360.

(4) انظر: أبو زيد، علي، **البديعيات في الأدب العربي**، ص58–69.

(5) موسى، إبراهيم أحمد، **الصبغ البديعي**، د. ط، دار الكاتب العربيّ للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م، ص380.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

أما عن الشروط المتعارف عليها عند كثير من النقاد، فهي:

- أن تكون طويلة تتجاوز المئة بيت.
- أن تكون من البحر البسيط ورويها الميم المكسورة.
- أنْ يكون موضوعها في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم وتصوير سيرته العطرة وتمجيد انتصاراته، وذكر الديار المُقدّسة وطلب الشفاعة من النبيّ صلى الله عليه وسلم.
- أن يَذكر الشاعر في كلِّ بيت فنًّا بديعيًا أو أكثر من دون تَكَلُّف.

وقد استنتج النقاد والباحثون الشروط السابقة من قصيدة صفيّ الدين الحليّ، من قوله في خطبة كتابه –بعد أنْ بيّن أنْ سبب نظمه لها– هو طلب النبيّ صلى الله عليه وسلم منه في المنام أن يمدحه: "فنظمت مائةً وخمسة وأربعين بيتًا في بحر "البسيط"، تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعًا من محاسنه... وجَعَلتُ كلّ بيتٍ مثالًا شاهدًا لذلك النوع، وربما اتفق في البيت الواحد منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم، والمُعتمدّ منها على ما أُسِّس البيت عليه... وألزمتُ نفسي في نظمها عدمَ التكلّف، وترْك التعسّف، والجريَ على ما أَخَذَتْ بِهِ نَفْسِي من رقَّة اللفظ وسهولته، وقوة المعنى وصحته، وبراعة المطلع، وحسن المطلب والمقطع، وتَمَكُّن قوافيها، وظهور القُوى فيها، وعدم الحشو فيها..."[1].

وإذا ما انتقلنا إلى **عدد البديعيات**، فهناك آراء عدّة، ولعلَّ من أوثق الدراسات التي عَنِيت بجمع عدد البديعيات في الأدب العربيّ القديم، والتي يطمئنَّ إليها الدارس هي دراسة **علي أبو زيد** إذ إنَّه أحصى خمسين بديعيّة جديدة في كتابه "البديعيات في الأدب العربيّ"، إذ أوصلها إلى إحدى وتسعين بديعيّة مؤكّدة[2]، مُتَّبعًا في إحصائه منهجًا دقيقًا في تتبّع مصادر هذه البديعيّات، بعد أن كانت أربعًا وأربعين بديعيّة أحصاها إبراهيم موسى[3].

إضافةً إلى الإحصاءات السابقة التي تعود إلى القرن المنصرم، أضافَ الباحثانِ إحصاءً حديثًا استخرجاه من الشابكة العنكبوتية، بلغ فيه عدد القصائد البديعية في الأدب القديم خمسًا وعشرين بعد المئة[4]، غير أنّنا وقد سعينا إلى التحقّق من مدى دقّته بمقارنة القصائد المضافة بما أورده الدكتور علي أبو زيد في إحصائه، إذ وجدنا قصائدَ مذكورة، وأخرى لا وجود لها أصلًا، وهو ما يثير الريبة في هذا الإحصاء، ويُسقطه من الاعتبار العلمي، لافتقاده أدنى درجات التمحيص المنهجي، ولخلوّه من أبسط معايير التوثيق الأكاديمي.

وهذا الواقع يُبرز الحاجة الملحّة إلى فتح باب الدراسة الجادّة لحصر جميع القصائد البديعية، وإحصائها إحصاءً علميًّا دقيقًا، ينهض على قواعد التحقيق، ويخضع لموازين التثبّت العلمي الرصين، وقد أشار علي أبو زيد إلى ذلك، إذ إنّه أكّدَ أنّ ما وصل إليه من البديعيات لا يعني اكتمال الجمع، إذ يرى أنّ ثمّة قصائدَ لا تزال متواريةً عن المعرفة، إمّا لبُعدها، أو لعدم العثور عليها، ويرى أيضًا أنّ هذا الفنّ لم يُحصَر بعدُ ضمن إطارٍ واضحٍ أو

---

(1) الحليّ، صفي الدين، **شرح الكَافِيَة البديعيّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، ص54–55.

(2) انظر تفصيل الإحصاء: أبو زيد، علي، **البديعيات في الأدب العربي**، ص71 وما بعدها.

(3) انظر تفصيل الإحصاء: موسى، إبراهيم أحمد، **الصبغ البديعي**، ص380 وما بعدها.

(4) موسوعة البديعيات، الألوكة، 2013/9/14، رابط المقال: https://majles.alukah.net/showthread.php?t=120668، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2025/4/13م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

مجموعة محدّدة من المصادر، ممّا يُبقي احتمال وجود بديعيات أخرى قائمًا، في ظلّ غياب الدراسات المستوفية لشروط الحصر العلمي الدقيق[1].

المبحث الثالث

البديع والبديعيات: التقاطعات مع الشعر التعليمي والصوفي

أولًا: أسباب نشأة فنّ البديعيات

لا بدّ أنّ لكلّ ظاهرة أدبيّة أو فنّيّة أسبابًا استدعت حضوره، فإذا تأملنا نشأة الفنون الأدبية على امتداد التاريخ العربي، فإنّها لم تكن وليدة الصدفة، ولا بنت لحظة طارئة، بل هي استجابة لحاجات تعبيرية، وارتقاء بذائقة الأمة، وتجلٍّ لروح العصر، ولعلّنا إذ نتصفح صفحات الأدب العربي، نقف على نماذج حيّة تؤكد هذا المعنى، ففنّ الخطابة مثلًا نشأ في أحضان القبيلة، إذ كانت الكلمة سلاحًا يُشهر في وجه الخصم، أو وسيلة لإطفاء نار الفتنة، ثم ما لبث أن تطوّر حين احتضنه الإسلام، فغدا أداة تبليغ وهداية، وكذلك كان شأن الشعر، إذ بدأ نَزَقًا فنيًّا في الجاهلية، فصار في العصور اللاحقة مرآةً للفكر، ومسرحًا لفنون البيان.

على هذا النسق نشأ فنّ البديعيات، لا بوصفه تمرينًا بلاغيًّا أو ترفًا فنيًّا فحسب، بل بوصفه ظاهرةً أدبية لها سياقاتها وظروفها، جاءت تتويجًا لمسار طويل من الاشتغال بالبلاغة والاحتفاء بجماليات الأسلوب، فما الأسباب التي دفعت الشعراء إلى نظم قصائد تُبنى على المحسنات البديعية، وتُعنى بالجمع بين التديّن والفن، بين العبارة والإشارة؟ سؤالٌ يقودنا إلى استجلاء الجذور، واستكناه الدوافع، لنفهم لماذا وُلد هذا الفن، وكيف نما في حضن التراث.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على أول بديعيّة في التراث، وهي قصيدة صفيّ الدين الحلي، تبيّن لنا أن الشاعر لم يكتفِ بنظمها فحسب، بل أفصح عن الدوافع التي رَمَتْ به إلى تأليفها، وذلك في مقدّمة كتابه "شرح الكَافِيَة البديعيّة"، ومن هذا النص انطلق الباحث علي أبو زيد مستنطقًا دلالاته، ومستخلصًا منها الأسباب التي كانت وراء نشأة فن البديعيات، وهو جهد محمود، إذ قرأ النصّ في ضوء سياقه التاريخي والفني.

غير أنّ الباحثين، وإنْ كانا سيَذكران ما انتهى إليه علي أبو زيد من نتائج، إلا أنّهما لا يقفان عند حدودها، بل يَرَيان أن ثمة بُعدًا آخر يمكن أن يُضاف إلى ما قيل، يُسهم في تقديم رؤية أكثر شمولًا حول الأسباب الكامنة وراء ولادة هذا الفنّ، لا سيما حين نستحضر البيئة الثقافية التي نَبَتَ فيها، والدوافع الذاتية التي عبّر عنها صفيّ الدين الحليّ بعبارته الشهيرة في شرحه للبديعية.

يقول صفي الدين الحليّ في مقدمة شرح الكافيّة: "فجمعتُ ما وجدتُ في كتب العلماء، وأضفتُ إليه أنواعًا استخرجتُها من أشعار المتقدّمين، وعزمتُ أن أؤلّف كتابًا يجمّع محاسنها، إذ لا سبيل إلى الإحاطةِ بكلّها، فعَرَضَتْ لي علّة طالت مدَّتَها، وامتدّت شدّتها، واتفق لي أن رأيتُ في المنام رسالةً من النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام،

[1] انظر: أبو زيد، علي، **البديعيات في الأدب العربي**، ص70.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

يتقاضاني المدح، ويعيدني البُرء من السقام، فعَدَلْتُ عن تأليف الكتاب إلى نظم قصيدةٍ تجمع أشتاتَ البديع، وتَتَطَرَّز بمدحِ بجده الرفيع، فَنَظَمْتُ مئة وخمسة وأربعين بيتًا من بحر البسيط..."[1].

ومن قول صفيّ الدين الحليّ السابق يَسْتَنْتِج علي أبو زيد في كتابه "البديعيات في الأدب العربي" أسباب نشأة هذا الفنّ، علمًا أنّ الباحثينَ من ورائه كانوا ناقلين عنه دون إضافة أي جديد إلى الدوافع أو الأسباب، ولعلّه كان أوَّل من فسَّرَ أسباب هذه الظاهرة تفسيرًا وافيًا، ويُمكن إجمال رأي أبي زيد في دوافع نشأة فنّ البديعيات عند الحليّ بما يلي[2]:

أ. **الرغبة في التأليف البلاغي (البديعيّ):** يستنتج أبو زيد ذلك من قول الحليّ: "فجمعتُ ما وجدتُ في كتب العلماء، وأضفتُ إليه أنواعًا استخرجتُها من أشعار المتقدّمين، وعزمتُ أن أؤلّف كتابًا يجمّع محاسنها..."[3]، ويوافق الباحثانِ ما ذهب إليه أبو زيد في هذا الدافع؛ إذ إنّ هذا السبب واضح في قول الحليّ، حتى إنّه كان عازمًا على كتابة مُؤَلَّف في البديع، وممّا أقعده عن هذا الأمر هو المرض.

ب. **الرغبة في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم:** يستدلّ أبو زيد على ذلك من قول الحليّ: "فعَرَضَتْ لي علّة طالت مدَّتَها، وامتدّت شدّتها، واتفق لي أن رأيتُ في المنام رسالةً من النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام، يتقاضاني المدح، ويعيدني البُرء من السقام، فعَدَلْتُ عن تأليف الكتاب إلى نظم قصيدةٍ تجمع أشتاتَ البديع، وتَتَطَرَّز بمدحِ بجده الرفيع، فَنَظَمْتُ مئة وخمسة وأربعين بيتًا من بحر البسيط..."[4]، فرأى أبو زيد أنّ هذا السبب كان دافعًا قويًا لنظم الحليّ لقصيدته، خاصّة أنَّ النبيّ طلبَ منه ذلك في المنام. إضافة إلى أَمَلِه في الشفاء في بركة مدحه للنبيّ من الداء العُضال.

ت. **المرض ورقّة عواطف المريض:** يرى أبو زيد أنَّ مرَضَ الحليّ كان سببًا قويًا في مدحه النبيّ، خاصّة إذا عَلِمْنا أنَّ المريض تَرِق أطباعه، وتصبح روحه شَفّافة ومرهفة، تتقبَّل أيّ بصيص أمل للشفاء، لا سيّما إذا كان المرض عضالًا كما كان عند الحليّ.

هذه الدوافع التي يراها أبو زيد خاصَّة بصفي الدين الحليّ، جَمَعْناها ونوافقه عليها، لكنّ أبا زيد قد أغفلَ دافعًا مهمًّا عند صفيّ الدين الحليّ، إذ إنّ لنا رأيًا جديدًا يُضاف علاوةً على الدوافع التي ذكرها أبو زيد، مفاده: أنّ صفيّ الدين الحليّ كتب بديعيّته **لإبراز التفوّق الشعريّ على أبناء عصره.**

إذ إنّ الباحثينِ قد استنتجا هذا الدافع من مَعْرِض حديث الحليّ في مقدمة شرحه لبديعيته، إذ قال: "ثمَّ أخلَيتُها من الأنواع التي اخترعتُها، واقتصرتُ على نَظْم الجملة التي جمعتُها لأسلَمَ، مِن مشاقّ جاهل حاسد، أو عالم معاند، فمن شاقَق وكَّلْتُهُ إلى النَّقْل، ومَن وافَقَ وكَّلْتُهُ إلى شاهِدِ العقل"[5].

إنَّ المتأمِّل للقول السابق لَيَجِدُ أنَّ في كلام الحليّ يحمل بُعدًا مُبطَّنًا، وفي كلامه إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ الحُسَّاد والمُتنطِّعين لِمَا يقول كُثُر، لذا كتب بديعيته –حسب قوله– من الأنواع البديعيّة التي جمعَها من أعلام علم

---

(1) الحليّ، صفي الدين، **شرح الكَافِيَة البديعيّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، ص54.

(2) انظر: أبو زيد، علي، **البديعيات في الأدب العربي**، ص31–39.

(3) الحليّ، صفي الدين، **شرح الكَافِيَة البديعيّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، ص54.

(4) **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

(5) **المصدر نفسه**، ص55.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

البديع، وابتعد عمّا اخترعَه هو لكي يسلم من لسان الجهلة والعلماء العنيدين "جمعتُها لأسلَمَ، مِن مشاقّ جاهل حاسد، أو عالم معاند...".

ثُمَّ يُردف الحليّ قائلًا: "وألزمتُ نَفْسِي في نَظْمها عدمَ التكلف، وتركَ التَّعَسُّف، والجريَ على ما أَخَذتُ به نفسي من رقة اللفظ وسهولته، وقوة المعنى وصحته، وبراعة المطلع والمَنْزع، وحُسْن المَطْلَب والمَقطع، وتَمَكُّن قوافيها، وظهور القوى فيها، وعدم الحشو فيها، بحيث يَحْسَبُها السامعُ غُفْلًا منَ الصنائع، ولم أرسل هذه الدعوى عاريةً عن بيّنة، فقد قالت الحكماء: "الأخير يَتَعَقَّب النظر، فانظر أيها الناقد الأديب، والعالم اللبيب إلى غزارة الجَمْع ضمن الرياقة في السمع... وَدَعْ كلَّ صوتٍ بَعْدَ صوتِي فإنَّني/ أنا الصائحُ المَحكِيُّ والآخر الصدى"[1].

وفي ثنايا هذه المقدمة، لا يُخفي الحليَّ نَفَس التحدّي، بل يُبرزه بثوبٍ من الحُجَّة والتأصيل، إنه لا ينازع أقرانه على فضلٍ موهوم، بل يواجههم بما صنَع، لا بما ادّعى، ثم لا يلبث أن يستحضر بيت المتنبي، لا استشهادًا عابرًا، بل ليُعلنَ على رؤوس الأشهاد أن قصيدته ليست تجربة طارئة، بل صوت أصيل، تنعكس عنه أصداء الآخرين، ومن هنا، يُدرك القارئ أن الحليّ، وإن ظهرَ هادئ النبرة، إلا أن تحته جمرة المفاخرة والتحدّي لمن ظنّوا الشعر حِلية لا حُجّة.

ويختم الشاعر أخيرًا قبل أن يبدأ قصيدته بقوله: "وأعوذ بالله أن أكونَ ممّن زكّى نفسه، أو مدح فهمَه وحَدْسَه، وإنَّما أشرتُ إلى حُسْن الاختيار لا إلى الإحسان في الاختبار، فقد قيل: اختبار المرء شاهد عقله، وشعرُهُ شاهدُ فضله"[2].

يختم الشاعر هنا بكلمات تنمّ عن وَرَعٍ أخلاقي، فيها نفي للادعاء والغرور، ثم ترتفع نبرة التحدي لديه حينما استند إلى قول مأثور، وكأنه يقول: إنّ قدرة الإنسان على التمييز والاختيار دليل على عقله، وإنّ شعري شاهد على فضلي وتقدّمي على جميع أبناء عصري، فإليكم ما أنتجه عقلي أيّها النُّقاد.

وصفوة القول إنّ ما ساقه صفيّ الدين الحليّ في مقدمة بديعيّته لم يكن حديثًا مُجرَّدًا، بل كان بيانًا مضمّخًا بروح التحدّي ووهج المفاخرة، صِيغ بلغة مُتْرَعة بالحُجّة ومُطَعَّمة بالتأصيل، تؤكّدُ أنَّ قصيدته لم تُكتب لهوًا، بل كُتبَت لتكونَ شاهدًا على تفرّده، وصوتًا أصيلًا في زمانه، لا رجعَ صدى، ومن هنا، فإنّ الدافع الذي يُضيفه الباحث إلى دوافع الحليّ، هو **إبراز التفوق الشعري على أقرانه**، ليس تأويلاً مُتكلفًا، بل قراءةً واعية في ضوء نصّ الحليّ ذاته، الذي نضحَ بمعاني التحدّي، وسعى فيه إلى أن يجعل من شعره مرآةً لعقله، ودليلًا على فضله، وتوقيعًا أخيرًا على تميّزه بين أبناء عصره.

ويضيف الباحثانِ سببًا آخر لنشأة فنّ البديعيّات وهو **الغاية التعليميّة** استخلصاه من مَعْرِض تقديم عائشة الباعونيّة (ت923هـ) لكتابها الفتح المبين، إذ قالت: "استخرتُ اللهَ تعالى بعدَ تمامِ نظمِها، وثبوتِ اسمِها في شيءٍ يروقُ الطالبَ موارِدَه، وتعظمُ عندَ المستفيدِ فوائدُه، وهو أنْ أذكرَ بعدَ كلِّ بيتٍ حدَّ النوعِ الذي بُنيتْ قواعدُه عليه، وأُقِرَّ شاهدَه، فإنَّ ذلكَ ممَّا يُفتقرُ إليه، وأنحو في ذلك سبيلَ الاختصارِ، ولا أُخِلُّ بواجبٍ، وأُنَبّهَ على ما لا بدَّ منه قصدًا لنفعِ الطالبِ والمسؤولِ"[3].

---

(1) الحليّ، صفي الدين، **شرح الكَافِيَة البديعيّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، ص55.

(2) **المصدر نفسه**، ص56.

(3) الباعونية، عائشة يوسف، **الفتح المبين في مدح الأمين**، ص26.

ويمكن تفسير القول السابق لعائشة بأنّها أرادت تعليم علم البديع للطلاب بطريقة جميلة ومفيدة ومختصرة، تجمع بين التنظير والتطبيق، فأرادت من ذلك تعليم فنون البديع عبر قصيدة مديحيّة مع شروح مختصرة طلبًا لتحقيق النفع للطلبة والدراسين.

ومن الممكن أن يتساءل القارئ هنا، هل يعني ذلك أنّ هذا الشعر المدعو بالبديعيّات **شعر تعليمي؟** وإذا كان كذلك **فما الفرق** بينه وبين الشعر التعليميّ المعروف؟

الحقيقة أنّنا لا يمكن أنّ نَعدَّ البديعيّات شعرًا تعليميًا محضًا، لا سيّما أنّ للشعر التعليميّ خصائص صارمة تُبعده عن الفنيّة الشعريّة والجمالية المعروفة في الشعر الغنائي، إذ إنّ الشعر التعليميّ هو شعر هدفه الأساس نقل المعرفة أو الحقائق العلميّة أو الدينيّة للمتلقي، دون وجود عاطفة، مثل ألفيّة ابن مالك، ومنظومة ابن سينا في الطبّ.

ويرى عبد العزيز عتيق أنّ الشعر التعليميّ "أبعد ما يكون عن الشعر بمعناه الخاصّ، أي الشعر الفنيّ الذي يغلب عليه عنصرا الخيال والعاطفة، ويهدف إلى الإمتاع والتأثير في النفوس، والشعر التعليميّ لا يلتقي مع الشعر الفنيّ إلّا في صفة النظم فقط"[1].

ويمكن استجلاء الفرق بين فن البديعيّات والشعر التعليمي وفق الجدول الآتي:

عنصر المقارنة	الشعر التعليميّ	فن البديعيّات
الغاية	نقل علم أو معرفة بحتة	الجمع بين العاطفة الدينيّة وتعليم البديع
العاطفة	معدومة أو غائبة	قوية وصادقة وحقيقيّة
الشكل الفنيّ	قصائد جافة لا إمتاع ولا تأثير فيها	قصائد فنيّة راقية الأسلوب والنظم
الاهتمام بالبلاغة والبديع	ضعيف أو معدوم	أساس النظم استخدام المحسنات البديعية والصور البيانيّة
موضوع القصيدة	علم محض (نحو، طب، فقه)	مدح نبويّ واستعراض لعلم البديع

بناءً على ما سبق، يمكن أن نعدّ فن البديعيات شعرًا يمزج بين الغاية التعليميّة والغاية الفنيّة، ولا يمكن القول عنه إنّه شعر تعليميّ محض، فهو يجيء بين في موقع وسط، بين الشعر الفنيّ الوجدانيّ، وبين الشعر التعليميّ، فلذلك يجد الدارس في هذا الفنّ مرتعًا خصبًا للإمتاع والتسلية والتعليم في آن واحد.

ثانيًا: التقاطع بين البديع والبديعيّات

حينما نتأمل في أساليب التعبير العربي، نلحظ أن "البديع" و"البديعيات" يشكّلان مظهرين من مظاهر العناية بجمال الصياغة وروعة الأداء، فالبديع عِلْم يُعنى بتحسين الكلام وتزيينه بألوان من المحسنات البديعية، وهو أحد أضلاع المثلث البلاغيّ (علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع)، في حين أن البديعيات نَمَط شعريّ مخصوص نَبَتَ في التربة الصوفية والأدبية، يستعرض فيه الشعراء براعتهم في تطويع المحسنات البديعية ضمن قصائد تتخذ

[1] عتيق، عبد العزيز، **الأدب العربي في الأندلس**، ط2، دار النهضة، بيروت، 1976م، ص329.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

من مدح النبي صلى الله عليه وسلم إطارًا لها، فبَيْنَ البديع والبديعيات صلة رحم معرفيّ، ولكن لكلٍّ منهما وجهة ومسلك.

ومما يُعضّد ما ذهب إليه الباحثان من أنّ فنّ البديعيّات قد نبت في بيئة مشبعة بالروح الصوفية، أنّ الشعر الصوفي –آنذاك– كان في أوج تألقه وذروة نضجه الجمالي، فقد بلغ من الرقيّ مبلغًا جعله يؤثّث المشهد الشعريّ العام بروحانية عالية النبرة، وجمالٍ دافق الإيحاء، مواكبًا بذلك بدايات نشوء فنّ البديعيات. وهذه المرحلة تحديدًا هي ما عدّه المؤرخ عمر فروخ "المرحلة الرابعة" من مراحل تطور الشعر الصوفي[1]، وهي المرحلة التي اصطلح على تسميتها بـ"العصر الذهبيّ" لهذا الفن، لما شهدته من نضج في الأسلوب، واتساع في الرمزية، وعمق في التجربة الروحية.

ولا يُفهم من القول إنّ البديعيات نَبَتَتْ في تربة صوفية أنها من الشعر الصوفي البحت، بل المقصود أنّها تشبّعت بأجواء روحانية كانت سائدة في زمانها، دون أن تنخرط بالضرورة في التجربة الصوفية العميقة التي تتسم بالفناء والوجد والانخطاف، فالشعر الصوفي يُبنى على رؤية ذوقية شهودية (قلبيّة باطنيّة)، تنبع من معاناة داخلية ومقامات روحية[2]، كما أنّه يُبنى على الرمز والعرفانيّة، في حين أن البديعيات تقوم على صناعة لفظية واستعراض بلاغي، يتخذ من مدح النبي صلى الله عليه وسلم إطارًا لاختبار مَلَكَة الشاعر في تطويع فنون البديع، فشتّان بين من ينظم قصيدة لبلوغ مقام القرب، ومن ينظمها لإبراز براعة البيان.

فبينَ "البديع" و"البديعيات" نجدُ النظرية والتطبيق، والذوق والتصنيع، والتعليم والمدح، ومن هنا تتولّد فروق دقيقة، لا تُدرك إلّا بميزان نقديّ رصين، يكشف مواطن الاتّصال والانفصال.

وسعيًا لاستجلاء الفروق الدقيقة بين "البديع" و"البديعيات"، سنقوم بإعداد جدول تحليلي يُبرز وجوه الاتفاق والاختلاف بينهما، من حيث المفهوم، والبنية، والوظيفة، والمنهج، والغايات، وغيرها، وذلك من أجل الإحاطة الشاملة بهذا التداخل المفاهيمي الذي طالما اشتبه على الدارسين، وجدول المقارنة هذا يُمثّل خلاصة ما توصّل إليه الباحث من خلال المطالعة المتأنّية، والقراءة المقارنة، والتأمّل النقدي في مصادر البديع ومتون البديعيات، سعيًا إلى ضبط الحدود وتحديد المسالك بين العلم وتجلّيه الشعري.

عنصر المقارنة	علم البديع	فنّ البديعيات
الطبيعة	علم بلاغيّ يُعنى بتحسين الكلام عبر المحسّنات اللفظية والمعنويّة.	نمط شعريّ يتّخذ من مدح النبيّ إطارًا لاستعراض فنون البديع شعرًا، مع شروط تم ذكرها سابقًا.
الغاية الأصليّة	تزيين الخطاب وتدريب المَلَكَة البلاغيّة.	الجمع بين التبجيل النبويّ والصنعة البلاغيّة.
المنهج	نظري وتحليلي يُدرس ضمن علوم البلاغة.	تطبيقي شعريّ، يعتمد لكلّ فنٍّ بديعيّ بيتًا شعريًا في نظم مُتسلسل.

(1) انظر: فرّوخ، عمر، **التصوف في الإسلام**، ط1، مكتبة منيمنة، بيروت، 1947م، ص56 وما بعدها.

(2) انظر: العوادي، عدنان حسين، **الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي**، د. ط، دار الرشيد، دمشق، 1979م، ص18 وما بعدها.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

الانتماء الفنيّ	أحد أضلاع المثلث البلاغيّ (البيان، والمعاني، والبديع).	ينتمي إلى الشعر الدينيّ المدائحي، لكنَّه متداخل مع الشعر التعليميّ.
الارتباط بالصوفيّة	لا علاقة له بالتصوّف.	تأثّرت بعض نماذجه بالتصوف، دونَ أن تكون صوفيّة بالمعنى الروحي العميق.
النشأة	بدأ ظهوره في القرن الثالث الهجريّ مع ابن المعتزّ.	ظهرت أوّل بديعيّة في القرن الثامن الهجريّ على يد صفيّ الدين الحليّ (ت750هـ).
أشهر الأعلام	عبد الله بن المعتز وقُدامة بن جعفر والخطيب القزوينيّ.	صفيّ الدين الحليّ وابن جابر الأندلسيّ، وعائشة الباعونيّة، وابن نباتة المصريّ.
مجال التوظيف	يُوظَّف في الخطابة والكتابة، والنثر والشعر على حدٍّ سواء.	محصور في الشعر، وبالذات في شعر المديح النبويّ.

ولا بدّ من التنبيه إلى قضيّة جوهريّة في فنّ البديعيّات، وهي أنّه وإن كان المنهج الغالب في هذا الفن يقوم على صبّ علوم البديع في قالبٍ شعريّ، يجعل من المحسّنات البديعيّة وسيلةً للتجميل والبيان، فإنّنا نجد طائفةً من الشعراء قد تجاوزوا هذا الإطار، وحوّلوا البديعيّة من مجرّد وعاءٍ للتطبيق إلى وسيلةٍ تعليمية، وغايةٍ لشرح علم البديع نفسه وتمثيله بأمثلةٍ شعريّة نابضة، ومن أبرز هؤلاء:

1. صفيّ الدين الحليّ **(ت750هـ)** في كتابه **(شرح الكافِيَة البديعيّة)**، ومطلع بديعيّته هي[1]:

إن جِئتَ سَـــلعًا فَسَـــل عَن جَيرَةِ العَلَمِ وَاقرَ السَـــلامَ عَلى عُربٍ بِـذي سَـــلَمِ

ففي تعليقه على البيت السابق، يستخرج لونًا من ألوان البلاغة يُعدّ من خصائص المطلَع الحسن، وهو سهولة اللفظ، وصحّة السبك، ووضوح المعنى، مبيّنًا أنّ جمال البداية لا يقلّ أثرًا عن رونق الختام.

ثم يُفصّل القول في الجناس الناقص، فيُشير إلى ما وقع في قوله: (سَلْعًا وسَلْ عن)، مظهرًا براعة التلاعب اللفظي بين الكلمتين، دون أن يَخِلّ ذلك بجزالة المعنى أو يُضعف المبنى.

وهكذا يمضي الحليّ في شرح بديعيّته بيتًا بيتًا، كأنّه يُدرّس علم البديع من خلال شعره، فيجمع بين لذّة الفنّ ومنهج العلم، ويضرب مثلًا نادرًا في توظيف الشعر لخدمة البلاغة، لا على سبيل التزويق فحسب، بل على سبيل البيان والتعليم.

2. ابن جابر الأندلسيّ **(ت780هـ)** في كتابه **(الحُلَّة السِّيرا في مدح خير الورى)**، ومطلع بديعيّته هي[2]:

بِـطَـيـبَـةَ انـزِل وَيَـمِّـم سَـــيِّـدَ الأُمَـمِ وَانشُـــر لَـهُ المَـدحَ وَانثُر أَطيَـبَ الكَلِمِ

---

(1) الحليّ، صفي الدين، **شرح الكافيّة البديعيّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، ص57.

(2) الأندلسي، ابن جابر، (ت780هـ/1378م)، **الحُلَّة السِّيرا في مدح خير الورى**، تحقيق: علي أبو زيد، جزء واحد، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1985م، ص28.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

3. جلال الدين السيوطيّ (**ت911هـ**) في كتابه (**نظم البديع في مدح خيرِ شفيع**)، ومطلع بديعيّته هي[1]:

مِنَ العَقِيقِ ومِنْ تِذكارِ ذي سَلَمِ ... بَراعةُ العَيْنِ في اسْتِهلالِها بِدَمِ

4. عائشة الباعونيّة (**ت923هـ**) في كتابها (**الفتح المبين في مدح الأمين**)، ومطلع بديعيّتها هي[2]:

في حُسن مَطلَعِ أَقمار بِذي سَلَمِ ... أَصبَحتُ في زُمرَةِ العُشّاق كَالعَلَمِ

هذه أمثلة على البديعيّات التي شرح فيها الشعراء علم البديع، ومن البديعيات التي لم تنل حظّها من التحقيق والدرس، ما وقفت عليه من نصوصٍ نفيسة ما تزال قابعة في رفوف المكتبات، تنتظر من يبعث فيها الحياة، من ذلك: بديعية ابن المَقَّري (ت837هـ) الموسومة بـ"الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة"، وبديعية ابن حجة الحموي (ت837هـ)المعنونة بـ"تقديم أبي بكر"، وهما مثالان مما تيسّر الوقوف عليه، واللائحة أطول، تشهد بعراقة هذا الفن وتستحثّ الباحثين على إبرازه من حيّز الإهمال إلى فضاء البحث والتحقيق.

وإذا بَلغَ القول منتهاه، فإن تأمُّل الفروقات بين "البديع" و"البديعيات" يُظهر تمايزًا جليًّا في الوظيفة والمقصد، وإن اشتركا في المرجعية البلاغية، فالبديع يظل إطارًا نظريًّا يعرض مفاهيم الزينة اللفظية والمعنوية، أما البديعيات فتمثل محاولة شعرية لتوظيف تلك المفاهيم ضمن سياق مديحي ديني، ولأجل توضيح هذا الفرق دون خلطٍ أو إغفال، جاء هذا الجدول خلاصةً لما تكشّف من خلال القراءة والمطالعة، رغبةً في تقريب المسألة وتجلية أبعادها لمن يهتم بالفروق الدقيقة بين التنظير والتطبيق، بين البلاغة كعلم، والبديعيات كفنّ تعليمي ذي طابع وجداني.

الخاتمة

بعد البحث والتحليل بِقَدَرِ المُكْنة، تمت دراسة تطور علم البديع، والتأصيل لفنّ البديعيّات وعلاقتهما بالشعرين التعليمي والصوفي دراسةً تاريخيّة مقارنة، وأفضتِ الدراسة إلى نتائجَ عامّة ونتائج خاصّة جديدة تُضاف إلى جهود الدارسين السابقين، **أمّا عن النتائج العامّة**، فهي:

- **أولًا:** ظهرت إرهاصات "البديع" في القرن الثالث الهجريّ على يد عبد الله بن المعتزّ (ت296هـ)، وأخذ صفةً رسميّةً بوصفه علمًا قائمًا بذاته على يد الخطيب القزوينيّ (ت729هـ) في القرن الثامن الهجريّ، إذ ضمّه القزويني إلى أضلاع المثلث البلاغي (علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع).
- **ثانيًا:** ظهرت "البديعيّات" في القرن الثامن الهجريّ على يدّ صفيّ الدين الحليّ (ت750هـ)، ولم يُعرَّف هذا الفنّ إلّا حديثًا على أيدي النقّاد المُحدثين، أمثال عليّ أبو زيد.
- **ثالثًا:** انعدمتْ الإشارة إلى لفظة "البديعيات" في المعاجم العربيّة قديمها وحديثها، سوى ما ورد في سياق الجذر (ب د ع).
- **رابعًا:** أثبتت الدراسة أن صفيّ الدين الحلي (ت750هـ) يُعدّ أول من أرسى الشكل الفني المتعارف عليه للبديعيات، ممّا جعله واضع الأساس لهذا اللون الشعري، وقد اقتدى به كثير من الأدباء في المنهج الذي اختطه، ورغم استفادته من تجارب من سبقوه، كالسليمان الإربلي (ت670هـ)، والبوصيري (ت696هـ)، فإنّه

---

[1] السيوطي، جلال الدين، (ت911هـ/1505م)، **نظم البديع في مدح خيرِ شفيع**، تحقيق: عادل الموجود وعلي المعوض، جزء واحد، ط1، دار القلم العربيّ، حلب، 1995م، ص46.

[2] الباعونية، عائشة يوسف، **الفتح المبين في مدح الأمين**، ص27.

انفرد بسبقٍ فنّي تمثّل في بلورة القالب الخاص للبديعية، ووسمها بطابعه، كما يُنسب إليه إطلاق مصطلح "البديعية" على هذا النمط من القصائد.

أمّا عن **النتائج الجديدة الخاصّة** التي نرجو أن تكون أصيلة في بابها فهي:

- **أولا:** كشف البحث عن الفارق الأساسي بين الشعر التعليمي المحض، الذي يغلب عليه الجفاف والافتقار إلى العاطفة والتأثير، وبين فن البديعيات الذي يتميز بمزج متناغم بين الطابع التعليمي ودفء العاطفة الدينية، وقد منح هذا التداخل فن البديعيات حيوية وجاذبية لا توجد في الشعر التعليمي الصرف، مما يعكس بُعدًا خاصًا يربط بين الروحانيات والبلاغة الفنية.
- **ثانيا:** بينت الدراسة بوضوح الفروقات الجوهرية بين علم البديع وفن البديعيات في الطبيعة والغاية والمنهج والانتماء الفني، رغم التشابه في التسمية، ويُسهم هذا التمييز في تعميق الفهم النظري والفني لفن البديعيات، ويُبرز موقعه المتميز ضمن خارطة العلوم البلاغية والأدبية.
- **ثالثا:** أوضحت الدراسة أن العلاقة بين فن البديعيات والشعر الصوفي هي علاقة تقاطع وليست علاقة تطابق؛ إذ نشأ فن البديعيات في بيئة مشبعة بالنفَس الصوفي، لكنه لم يكن شعرًا صوفيًا خالصًا، بل هو شعر تعليمي بلاغي استُخدم فيه مديح النبي صلى الله عليه وسلم كوعاء لاستعراض صنائع البديع. لذا، يتطلب فهم هذا الفن تمييزاً نقدياً بين الإبداع القلبي العرفاني والصناعة البيانية التعليمية.
- **رابعا:** استخلص البحث أسبابًا جديدة لظهور فن البديعيات من خلال دراسة مقدمات أعلامه؛ فقد أظهر البحث دافع التفوق الشعري وإبراز المقدرة أمام أبناء العصر في مقدمة صفي الدين الحلّي، وهدفا تعليميا واضحا لدى عائشة الباعونية، إذ اتُّخِذَت البديعية وسيلة لتعليم علم البديع، وهذان البُعدان يشكلان مفتاحين لفهم دوافع نشأة الفن وتطوره.
- **خامسا:** أظهرَ البحث من خلال إحصاء أولي أعدّه الباحثان بالرجوع إلى الشابكة العنكبوتية أنّ عدد البديعيات المتداولة بلغ مئة وخمسًا وعشرين، وهو عدد يفوق ما ورد في إحصاء علي أبو زيد الذي أحصى إحدى وتسعين بديعية مؤكدة وفق منهج علميّ دقيق، ومع ذلك، لم يُعْتَد بإحصاء الشابكة لافتقاره إلى أبسط معايير التمحيص والتوثيق الأكاديمي، مما يبرز الحاجة إلى دراسة مستقلة تُعنى بإحصاء البديعيات إحصاءً علميًّا موثّقًا.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

- الأندلسي، ابن جابر، (ت780هـ/1378م)، **الحُلَّة السِّيرا في مدح خير الورى**، تحقيق: علي أبو زيد، جزء واحد، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1985م.
- الباعونية، عائشة يوسف، (ت923هـ/1516م)، **الفتح المبين في مدح الأمين**، تحقيق: عادل العزاويّ وعباس ثابت، جزء واحد، ط1، دار كنان، دمشق، 2009م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

- الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان، (ت255هـ/868م)، **البيان والتبيين**، تحقيق: د. م، 3 أجزاء، د. ط، دار الهلال، بيروت، 2002م، ج3.
- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، (ت393هـ/1002م)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، 6 أجزاء، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج3.
- الحليّ، صفي الدين، (ت750هـ/1349م)، **شرح الكافيّة البديعيّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، تحقيق: نسيب نشاوي، جزء واحد، ط2، دار صادر، بيروت، 1992م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ/1405م)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، 8 أجزاء، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981م، ج1.
- السيوطي، جلال الدين، (ت911هـ/1505م)، **نظم البديع في مدح خيرِ شفيع**، تحقيق: عادل الموجود وعلي المعوض، جزء واحد، ط1، دار القلم العربيّ، حلب، 1995م.
- العسكري، الحسن بن عبد الله أبو هلال، (ت395هـ/1004م)، **الصناعتين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، جزء واحد، د. ط، دار العنصرية، بيروت، 1998م، ج1.
- القزويني، جلال الدين الخطيب، (ت738هـ/1338م)، **التلخيص في علوم البلاغة**، تحقيق: عبد الرحمن برقوقي، جزء واحد، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
- ابن المعتز، عبد الله بن محمد أبو العباس، (ت296هـ/908م)، **البديع**، تحقيق: د. م، جزء واحد، ط1، دار الجبل، السويداء، 1990م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت711هـ/1311م)، **لسان العرب**، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، 15 جزءًا، ط3، دار صادر، بيروت، 1993م، ج8.

ثانيًا: المراجع

- الربداوي، محمود، **ابن حجّة الحموي شاعرًا وناقدًا**، د. ط، دار قتيبة، دمشق، 1982م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

- أبو زيد، علي، **البديعيات في الأدب العربي**، ط1، عالم الكتاب، بيروت، 1983م.
- ضيف، شوقي، **البلاغة تطور وتاريخ**، ط9، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
- عتيق، عبد العزيز، **الأدب العربي في الأندلس**، ط2، دار النهضة، بيروت، 1976م.
- عتيق، عبد العزيز، **علم البديع في البلاغة العربية**، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.
- العوادي، عدنان حسين، **الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي**، د. ط، دار الرشيد، دمشق، 1979م.
- فرّوخ، عمر، **التصوف في الإسلام**، ط1، مكتبة منيمنة، بيروت، 1947م.
- مبارك، زكي، **المدائح النبويّة**، د. ط، دار المحجة البيضاء، بيروت، د.ت.
- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط2، دار الدعوة في إسطنبول ودار الفكر في بيروت، 1972م.
- موسى، إبراهيم أحمد، **الصبغ البديعي**، د. ط، دار الكاتب العربيّ للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م.

ثالثًا: المجلات والدوريات

- الآلوسي، حذام جمال الدين، **تطوّر البديع**، مجلة الآداب، بغداد، ع19، 1976م.

رابعًا: المواقع الإلكترونية

- موسوعة البديعيات، الألوكة، 2013/9/14، رابط المقال:

https://majles.alukah.net/showthread.php?t=120668، تم الاطلاع عليه بتاريخ:

2025/4/13م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025